

الأنساق المضمرة في الكتابة النسائية ما بعد حداثة
-المجموعة القصصية "عليها ثلاثة عشر" لأمل بوشارب

Hidden Formats
Postmodern Feminist Writing
Story collection On her thirteen by amal bouchareb

بوقفتان فتحي

المركز الجامعي مرسلّي عبد الله-
تيبازة- (الجزائر)

tipaza.dz-Boukoftane.fathi@cu

جنادي زليخة

المركز الجامعي مرسلّي عبد الله-
تيبازة- (الجزائر)

zodjenadi@gmail.com

تاريخ النشر: 2025/09/29

تاريخ القبول: 2025/09/23

تاريخ الاستلام: 2025/06/22

ملخص:

تكتشف الأنساق المضمرة في الكتابة النسائية العربية المعاصرة من خلال حفر في أعماق الماديّة اللغويّة، وهي تحتاج إلى أدوات نقدية تستدعي العديد من سياقات، خاصة بعد القفزة النوعية للإصدارات الإبداعية النسائية الجزائرية على غرار المجموعة القصصية: "عليها ثلاثة عشر" لأمل بوشارب، وفيها نجد اهتماما كبيرا بقضايا المرأة؛ حيث استجابت لواقعها استجابة جمالية، طرحت فيها همومها، وآمالها بخبرة لغوية، ففي هذا المنجز الإبداعيّ توجد ثلاثة عشر قصة، وفي القصة الأخيرة يكتشف القارئ الحل لأغلب الجوانب التي تؤرق حياة النساء على اختلاف مستوياتهن، وصراعهن في المجتمعات الأبوية التي تنتشر فيها السلطة جزموريا. وفي هذا الصدد وجدنا تجاوزا ورفضاً لثقافة الصمت السلي المتوارثة؛ مستخدمة حروف النفي لإدانتها لتلك التراتبية التي ترسخت في الفكر العربيّ.

الكلمات المفتاحية: الكتابة النسائية العربية المعاصرة؛ الأنساق المضمرة؛ خطاب الرفض؛ السلطة الجزمورية.

Abstract

:we discover the hidden format in contemporary arab feminist through a process of as it requires critical tools that cal for many, diving into the depths of linguistic materialism we find in the story collection, « on her thirteen» by amal bouchareb; contexts as she inter acted with her reality with an aesthatic, great interest in women's issues the reader discovers the solution to most of the negative aspects, in the final story. Response heir struggle in patriarchal societies where and that cloud the lives of women at all levels authority is radically dominant. In this regard, we find a

* المؤلف المرسل: جنادي زليخة

transcendence and rejection of inherited culture of passive silence. Using negative letter to condemn the hierarchy entrenched in arab.

Keywords: writing contemporary arab women; hiddens formats; discourse of rejection; rhizomatic power.

. مقدمة:

تبوّأت الكتابة النسائية المعاصرة مقعداً هاماً في الساحة الأدبية، وأضحت تستجيب لكل المؤثرات المحلية والقومية، وتساهم في الدفع بالمقاومة ثقافية نحو الأمام بهدف التحرر، وإعادة الخلق الذاتي، فالمرأة المبدعة العربية عامة، والجزائرية خاصة ناقلة للثقافة، واللغة، وهي الآن أمام رهانات التجديد بعدما قامت بزحزحة سلطة الكتابة الذكورية، و أثبت وجودها وحضورها عن طريق اللغة، التي جعلت وجودها موجوداً.

تهدف ورقتنا البحثية، في التركيز على الأعمال الإبداعية التي تنتجها امرأة المثقفة ذات رأس المال المعرفي، والرمزي؛ إذ يمكنها أن تحدث ثورة معرفية في إذكاء جمهور القراء، لأنّها نواة المجتمع بل التيمة المهيمنة على فكر الأجيال، الأمر الذي يجعلها تعمّق قراءاتها ونقدها لسير أغوار قضاياها، لذلك يتم استهدافها من طرف الفكر الغربي، لأنّها حجر الأساس للحفاظ على الهوية الوطنية، والفطرة السليمة، فإذا صلحت صلح المجتمع، وإذا فسدت فسدت المجتمع، وبما أنّ المبدعة الجزائرية واعية بخطورة الوضع الراهن، فعليها أن تتشبع بالوعي الثقافي، والاجتماعي، والتاريخي، والفكري.

ونظراً لأهميتها بجّلها ديننا الحنيف، وأعطى لها مكانة رفيعة وراقية، فالإسلام يصنّفها كائناً إنسانياً مستقلاً بذاته، وليس تابعاً، فإذا كان الإسلام يحزّر المرأة، فحقّ لنا أن نسأل: كيف تغلّغت تلك الأنساق الثقافية المريضة إلى المجتمعات المسلمة، وبالأخص تلك الإنجازات التأكيدية التي جعلت من المرأة كائناً أقلّوياً، ودونياً؟ وهنا يجب على النقد الثقافي أن يطرح أسئلة عن مرجعية ثقافة الصمت المتوارثة في المجتمعات الأبوية.

تتجسّد تلك الأنساق المضمرّة عبر المادية اللغوية للرواية الديستوبية؛ أو رواية المدينة الفاسدة؛ حيث تتجلى تلك الممارسات المنحرفة، التي تتنافى مع القيم الإنسانية، وهذا ما أرادت المبدعة أمل بوشارب أن تظهره في المجتمع الجزائري، الذي تمّ فيه استهداف فكر المرأة بشكل مباشر، في الفترة التي سبقت الحراك، الأمر الذي أدخلنا في قلق معرفي، وحثنا على طرح الإشكالية التالية: كيف تجسّدت الأنساق المضمرّة في المجموعة القصصية "عليها ثلاثة عشر" لأمل بوشارب؟

حاثاً للخطى صوب مناقشة هذه الإشكالية، استعنا بمناهج نقدية حسب ما تتطلبه المدونة، لأنها انفتحت على سياقات إجتماعية، واقتصادية، وسياسية، وثقافية، الأمر الذي استدعى المناهج: السوسيونصية، والتأويلية، ذلك بالاعتماد على آليتي الوصف، والتحليل.

2. الأنساق المضمرة والرواية الديستوبية

1.2 . مرجعيات لرواية الديستوبية:

ترجع الرواية الديستوبية للفكر الثقافي الغربي ، وهي مناقضة للروايات البرجوازية، الروايات الحداثية، التي تزامنت مع التطور التكنولوجي، وهيمنة الآلة، ، حينها تمّ إزاحة عقل الإنسان من عرشه، فتهددت كينونته، وظهرت أمراض العصر، كالقلق، والكآبة، والخواء، والإفراغ الروحي، وتعمّقت تلك الجروح بعدما تحالفت العولمة مع والذكاء الاصطناعي، وكل هذه المتغيرات أثرت على على الكتابة العربية عامة، و الجزائرية خاصة، وعلى سياق القراءة ، فأحدث دهشة في التلقي، وقلب كل الموازين، فأضحى الحديث عن التابوهات أمراً عادياً بعدما كان محرّماً في الثقافة العربية، والإسلامية.

لذلك نشهد انحداراً، وانزلاقاً خطيراً في شتى المجالات التي استبعدت الأخلاق والفضائل مع انتشار العديد من النزاعات، والأزمات في أكبر الدول المتطورة، التي قامت بتأليه العقل وأزاحت الدين والمعارف الروحية، واهتمت إلا بالمعارف الدنيوية، وحاولت صناعة أخلاق علمانية، وقدّست كل ما يقوله العلم المادي، وهذا ما أدّى إلى إعادة طرح تلك الأسئلة وجودية، التي عجز أمامها الفكر الغربي ولم يجد لها أجوبة على أرض الواقع، خاصة بعدما قامت العلمانية بصناعة إنسان منسلخ من الأخلاق، يعيش فراغاً روحياً بنفسية كئيبة ، وقلق وجودي رهيب، والسبب يعود إلى التشكيك في حقيقة الخالق من طرف العقلانية الغربية، التي تعتبر منطلقاً فكرياً تأسيسياً للحداثة التي مجّدت العقل جاعلة من الإنسان ملكاً على الكون، فغيّبت الإله وأزاحت عن طريق المعرفة ومبادئ العلم، وهذا الانحراف حدث عند فصل الأخلاق عن الدين مع الفيلسوف "كانط"، و رُفِع شعار لا غيب في العقل؛ أي الإيمان إلا بما هو مرئي، وظاهر وخاضع للمبدأ السببية، فتهددت كينونة الإنسان، وجعلته يشكك في هويته. الأمر الذي ولّد ردة فعل من طرف فكر آخر تسبب في تهديد الحياة البشرية، وهو فكر ما بعد الحداثة، الذي أسس للنظرية النقدية الفرنسية لكل من جاك دريدا، ميشال فوكو، جيل دولوز، وفرانسوا ليوتار.

2.2 المرجعية الفلسفية لرواية المدينة الفاسدة:

بما أنّ المرجعية الفلسفية تتقاطع مع الأدب في طرح قضايا معقدة تختص بتوصيف حقائق عميقة، استطاعت الرواية استيعاب القضايا المعقدة، وانفتحت بذلك على المجال الفكري والفلسفي، كما أنّ للمرجعية الثقافية دور في تأسيس تلك الأفكار الجوهرية، فهي تشمل كذلك المرجعية الإيديولوجية التي تضرر الكثير من الأفكار الخاضعة للعادات والتقاليد، والمسلمات، والتي تجسدت عبر المادية اللغوية للرواية الديستوبية؛ حيث تصاغ الإيديولوجيا في "حياة المجتمعات التي عزفت بها النزاعات السياسية، والاجتماعية السلبية، فتلاشت القيم الأخلاقية النبيلة للإنسان أمام عوامل الجشع والانحلال والآلية"¹¹. هذه نوع من الروايات تعتمد على الخيال، والرمز هدفها انتقاد الواقع المتعفن لذلك تعرف بروايات المدينة الفاسدة، وفيها يتم الكشف عن تلك الأنساق المضمرة عن طريق تفسير اللغة وتأويلها بالإنفتاح على شتى المجالات، وهذا هو السؤال الجوهرى للنقد الثقافى.

3 الأنساق المضمرة في المجموعة القصصية لأمل بوشارب

1.3 عبودية من نوع آخر:

سوّقت الأنساق الثقافية المتوارثة في الدول المهمشة إلى ثقافة الصمت السلبي، والخضوع، والخنوع، والتبعية بالرغم من أنّ الفرد يولد، و ينشأ حراً في أسرته، يتم تحجيم، وتقزيم حريته في أصغر خلية في المجتمع، وحصرها في مجال ضيق من خلال كلمة "أسكت"، تسكت المرأة عندما يتكلم الرجل، يسكت العبد و الأسود، عندما يتكلم السيد والأبيض، لدرجة الاعتقاد، والإيمان بأنّ فئة الأولى خلقت من أجل تحقيق رغبات الفئة الثانية، ولا مكان لها في المجتمع إلاّ إذا تمّ تمثيلها، فتشكّلت وترسّخت إنحيازات تأكيدية خاطئة، وثنائيات تراتبية تمّ توارثها جيلاً عن جيل أضمرت أنساقاً مضمرة فعلت فعلها في الفكر، فصار الأول يتصف بالقوة بينما الثاني يعاني الضعف و التبعية، واتسعت هذه الأنساق لنتج ذواتاً تابعة، وهذا يرجع إلى العديد من الخلفيات منها النفسية، والاجتماعية، والتاريخية، والثقافية، جعلت من الدول المهمشة ترضى بوصاية دول المركز بدعوى أنّها ستنقل إليها الحضارة، والرقي، وتخرجها من التخلف، لذلك ترسّخت ثقافة الكسل، والخنول المعرفي عند الدول التابعة، فلا داعي أن تتساءل عن الحقيقة لأنّها وجدت عند الحضارات الراقية، أو تناقش تلك الحتميات المطلقة، التي وضعتها السرديات الكبرى كالدّين المسيحي، والفلسفة المثالية، والإيديولوجيات الماركسية، والرأسمالية.

غير أنّ الأمر تغيّر بعدما تمّ مساءلة الفكر الغربي العقلاني، الذي قام بإذابة الديانة المسيحية؛ حيث قُلبت الموازين بإزاحة التراتيبات من طرف فكر جديد قام بدوره بإذابة أخرى لمنطق السرديات الكبرى، وأسقطها من عرشها بعدما صنعت ذواتا تتحدّث باسمها، وباسم السلطة الحاكمة. كما خيّبت أفق توقع الإنسان، وجعلته يشكك في كلّ شيء مطلق، وتحلّي ذلك عبر المادية اللّغوية التي كشفت عن الأنساق المضمرّة المتخفية وراء الأنساق الظاهرة، وعبّأها الجميلة، الأمر الذي تسبب في سقوط الأصوات المتعالية، وفي المقابل صعد خطاب الرفض، الذي جعل التابع يتكلّم، ويفضح إيديولوجية أجهزة الدول الغربية، ويرفض التمثيل، والسلطة الأبوية بشتي أنواعها.

مع العلم بأنّ تصوّر التقليدي للسلطة تغيّر؛ حيث اكتسب هذا المصطلح خصائصا جديدة مع رواد نقد ما بعد الحداثة، وفهو يتخذ ذلك الشكل الجذموري الذي ينتشر في كلّ الاتجاهات، وهنا يتم تجاوز ذلك المفهوم التقليدي، لذلك قال فوكو: "بكلمة سلطة لا أعني مجموعة المؤسسات والأجهزة التي تضمن خضوع المواطنين في إطار دولة ما، كذلك لا أعني بكلمة سلطة نمطا من الإخضاع الذي هو على العكس من العنف إنّما يتخذ شكل قاعدة، وأخيرا لا أعني بكلمة سلطة نظاما عاما من جهة الهيمنة يمارسه عنصر أو مجموعة على عنصر آخر أو مجموعة أخرى..."²، لذلك فالسلطة منذ القدم كانت تمارس داخل النواة الأساسية المكونة للمجتمع، فهي انطلقت من الأسرة النووية، ثمّ توسّعت إلى كلّ مجالات الحياة، فتعددت السلطات في جسد المجتمع.

علاوة على ذلك، تميّزت هذه الأفكار في كتابات ما بعد الحداثة على غرار قصة "السّمراء"، التي كانت تشعر في وطنها بالدونية، وحاولت تعويض ذلك بالاجتهاد في الدّراسة، وعندما نجحت سافرت إلى أوروبا، عندها تخلّصت من ذلك الصمت الذي أرّقها "لأنّ قانون الصمت كان هو ما يبدو، وكأنّه يتحكّم في مجريات حياتها"³. لأنّ الثقافة التي توارثتها اجتماعيا جعلتها تعتقد أنّ الجمال ينحصر عند المرأة ذات البشرة البيضاء، وعلى النقيض ينظر للمرأة السّمراء في الضفة الأخرى على أنّها جميلة ولكن غريبة، و "هكذا أصبحت السّمراء القبيحة بصمت في مكان، جميلة ولكن غريبة بصفة في مكان آخر... لم تكن تأمل، ولا بالأحلام أن تنقلب موازين القوى بهذا الشكل لصالحها... أخيرا حققت حلمها... إنّها جميلة، لقد أصبحت جميلة في نظرهم"⁴. وهنا يمكن الإشارة إلى النسق المضمر، وهو النظرة الدونية إلى البشرة الملونة، وهذه التراتبية الموجودة بين البشرة البيضاء والبشرة الملونة، أو السوداء ترجع إلى العصور القديمة واستمرت إلى الوقت الراهن بالرغم من التطور الذي عرفته الإنسانية، ففي العصر الجاهلي عان عنترة بن شداد، وغيره من التمييز والإقصاء، وبقي هذا التمييز العرقي يؤرّق أصحاب البشرة الملونة في المجتمعات العربية بالرغم من أنّ الإسلام نحى عن ذلك.

هذا النسق تمّ توارثه عبر الأجيال من فترة ما قبل الحداثة مروراً بالحداثة وصولاً إلى مرحلة ما بعد الحداثة، لذلك تجسدت في الروايات الديستوبية لغة الأسفل الجسدي التي ارتبطت بالمهمّش، لذلك رأت السمرء "أنّ في التضحية تضمن بقاءها هنا مدى الحياة... وعلاققتان، أو ثلاث، أو أربع مع ما يمكن أن يحوّلها إلى نجمة لن تضيرها، لها الآن صولات وجولات مع أقوى، وأغنى رجال الضفة الأخرى، الذين يتنافسون على الخروج معها.."⁵. فبالرغم من أنّها كانت متفوّقة، ومتميّزة في الدّراسة إلّا أنّ الآخر بقي ينظر إليها على أنّها جسد جميل خلق لإشباع رغبات الرجل الأبيض، وهذه هي مركزية التفكير عند الغربي، الذي يظن أنّه الوحيد الذي يمتلك المعرفة، وهذا النسق يعود إلى الفلسفة المثالية، والعقلانية، والكوجيتو الديكارتي، والفكر الآري الألماني، الذي رسّخ فكرة التراتبية بين العقل والجسد، وربط هذا الأخير بالكائنات الدونية، التي تتحكّم في تصرفاتها الغرائز، والعواطف، وتمّ وضع المرأة في هذه الخانة السفلى.

وبعدما ضُربت الحداثة من الداخل من طرف الفرويدية، والماركسية، والداروينية، والعائلة النيتشوية لأنّ الحداثة التي تسببت في أغلب المشكلات التي يعاني منها التابع اليوم، لذلك رأى "أنّ الحداثة هي ثورة ضد ظلاميّة الكنيسة في القرون الوسطى، وكل ماله علاقة بالسحر والشعوذة، لا تنسجم مع مقولات العقل الخالص، ومع مبادئ الكرامة الإنسانية، وعليه فالحداثة مذهب فكري اجتماعي متمرد"⁶. وهذا لا يعني أنّ الأفكار التي جاءت ما بعد الحداثة سليمة؛ إذ تجسّدت عبر المادية اللّغوية للأعمال الإبداعية العربية بعدما تسللت مع أواخر القرن العشرين.

2.3 تجليات ما بعد الحداثة في المجموعة القصصية "عليها ثلاثة عشر"

صعد هذا الفكر جديد مشكّكا في كل ما هو مطلق، وأسقط العقل واحتفى بالجسد، فكر لا عقلائي تبنته النظرية الفرنسية مع جاك دريدا، وميشال فوكو، وفرانسوا ليوتار، وجيل دولوز وجواتاري، فكر حاول حصر الإنسان في الغريزة، فتجسدت تلك الأنساق في الأعمال الإبداعية الغربية، والروايات الديستوبية، والأورويلية على عكس الرواية المثالية، التي يتصف أبطالها بصفات الكمال، والأخلاق النبيلة، وعلى النقيض نجد في روايات ما بعد الحداثة، البطل يخطئ، ويرتكب الرذائل، ويعيش أزمات نفسية، وتأزما رهيبا داخل واقعه، وهذا ما وجدناه عند البطولات اللواتي اختارهنّ الكاتبة أمل بوشارب، فالسمرء تقيم علاقات سفلية مع أغنى رجال الضفة الأخرى، والبلهاء تتفنن في تقليد المشاهير، والمديرة تقع في الإدمان.... الخ.

في قصّة: سيجارتها لأمل بوشارب، تقع المرأة في شرك الإدمان، و"يطالعا فيها هو مشهد امرأة تدخن بشراهة، وبشكل لافت"⁷. أوضحت العبوديّة متعددة، ومتنوعة نذكر منها عبادة السّلع، والشّهوات، والجسد عبودية أنتجتها الحداثة الغربيّة، وهذا ما أشار إليه ماركوز في كتابه: "الإنسان ذو البعد الواحد، الذي رأى بأنّ هذا العالم زال فيه الأسياد وتحوّل الكل إلى عبيد.

فالمرأة لا زالت تعاني بالرغم من التطوّر الذي عرفته الإنسانيّة، فبعدما تحررت من العبودية الأولى وقعت في عبودية أخرى كعبادة المرأة للسيجارة، فوقع هذه المرأة في الإدمان جعلها تقع في التبعيّة من جديد بعدما كانت تظن بأنّ التدخين يعتبر نوع من التمرد والرفض "ظنا منها أنّها نوع من إثبات للذات، غير أنّها وقعت في فخ وشرك الثقافة الاستهلاكية الغربيّة..."⁸، فبعدما تخلصت المرأة من الهيمنة الذكورية وقعت في هيمنة الاستهلاك، فصارت عبدا لسلعة ضارة.

الأمر لم يتوقف عند هذا الأمر وإنما تجاوز المعقول، وانتهك الطبوهات، فبعدما تمّ إزاحة الفروقات بين الرجل والمرأة في المجتمعات الغربيّة التي تمارس امبريالية ثقافية على الهامش حاولت إدخالها في أزمة هويّة، فلا فرق بين الذكر والأنثى، فكلاهما له كلّ الحرّيّة في اختيار هويّته، والذي يعارض هذا الفكر يعتبر خارج عن القانون، وغير إنساني، "ولقد تكفّلت المرأة الكاتبة بترميم الذات المتصدّعة التي تسكنها في القاع الأسفل من لا وعيها الجمعي. لقد كانت تبحث عن نمط وجود يلبي رغبة محمومة في اقتحام ما كان محرّما بفعل قوانين الرجال، وكانت تريد أن تنجز ما لم يكن متاحا لها بسبب جنسها، فتمردت على أعراف القبيلة، وعاداتها، واحتفت بجسدها"⁹، هي وجهة نظر يختلف فيها الكثير بحسب إيديولوجية المبدع والمتلقي.

وهذا يحيلنا قصة: ثورت "هن" التي حاولت المرأة التحرر من جبروت الرجل لكنها تسبّب في إذابة هويّتها بمساعدته؛ حيث طلب منها التخلي، وإلغاء نون النسوة من خطاباتها، والحديث بضمير المتكلّم "أنتم" عوضا من "أنتن"، لذلك سعت البطلة إلى "مقاومة الاختلاف الثقافي بين الجنسين، ومن خلال ذلك محاربة التمييز بين الجنسين في الخطابات اللّغوية. وفي البنية النحوية للغة... وهكذا أشار عليها بالتخلّص من نون النسوة ليتحوّل إلى الصيغة التالية:...أخواتكم هناك قد اتحدوا جميعا لمساعدتكم في تحقيق ثورتكم"¹⁰. وهنا توسّع الرفض إلى القواعد اللّغوية، وفيه تمّ استخدام ضمير جمع المذكر "أنتم" مكان جمع المؤنث "أنتن" بشكل مقصود وليس جهلا، بتهميش قواعد اللّغة العربيّة باختفاء نون النسوة، وهكذا زعزع الرجل ثقة البطلة بعدما كانت تظن بأنّه سيحررها، ولكنّها في الأخير استعملت الضمير الأقوى، وهو جمع المذكر السالم، كما ساهمت في تهميش قواعد اللّغة العربيّة، بعدما تمّ تهميشها من طرف الرجل الذي لجأت إليه.

3.3. تشكّل خطاب الرفض في السرد الأنثوي:

إذا عدنا إلى صوت المرأة في أعمال الإبداعية، نجد أصواتا متعددة، ومتنوعة منها أصوات واعية، تم إبرازها من خلال دراسة لقصة: *المتمرّدة* لأمل بوشارب، وفي هذه القصة يتجلى خطاب الرفض؛ حيث صار، "صوت المرأة صارخا في وجه جلاّديها منتفضا من الذين يضطهدونها.. إنّ سرديات المرأة تكشف عن التاريخ طويل من القهر والحرمان"¹¹، لأنّ الكتابة الذكورية كانت تعتبر مركزا للوعي قامت بتهميش سرديات المرأة، مثلها مثل المرأة الجزائرية التي "تجد نفسها معزولة في مقاومة الهيمنة الذكورية في مجتمع يصنّفها كائنا أقلويا... باعتبارها تابعة في وجودها للذكر داخل البيت، وفي مراكز العمل، وحتى في الأماكن العامة"¹²، هذه النظرة الدونية تم توارثها ثقافيا في العديد من المجتمعات لا زالت تظهر بشكل واضح عند العرب بينما تتوارى بشكل مضمّر عند الغرب.

في قصة: *"المتمرّدة"*، تحرّرت المرأة من التهميش، وخيّب أفق انتظار المركزيّ، حينها "بدأ خطاب الرفض يتشكّل من خلال حروف النفي التي لم تكن ضمن المعجم اللغويّ للتابع، واجهت لوشيا البنت بحزمة من الأسئلة النمطية التي كانت جاهزة ومعدّة سلفا"¹³، ومن بين عبارات الرفض، "لا، ردّت جميلة بحزن، أنا لم أعش أي حرب... أنا لن أكتب أيّ شيء ولو أعطيتني حقيقتك بأكملها"¹⁴. هذا الخطاب استعملته جميلة يعتبر شكل من أشكال مقاومة لأوامر السيّدة، التي طلبت منها أن تكتب عليها رغباتها، وعن مكبوتاتها، والصدمات التي تعرضت لها، وهو إخراس لصوت الامبريالية المتعالية، المستعلي فوق كل الأصوات، ولم يعد الصوت المنبعث من المركز هو الوحيد الذي يُسمع، بل غدت أصوات أخرى تنبعث من الهامش، لتصنع لها وجودا لم يكن مذكورا"¹⁵. نستنتج بأنّ التابع يتكلّم عندما ينتج معرفته، ويدافع عن مصالحه، وهذا ما لم تعهده المرأة التي تعتبر كائنا تابعا في الثقافات المهمشة، في المقابل نجد أنّ المرأة في الثقافات المركزية غير خائفة بل متحررة حسبما تم رسمه، وكتابته في التاريخ الغربي، ولكن عند الحفر في هذا التاريخ ومرجعياته نكتشف بأنّ الكل كانوا عبيدا لأهوائهم، ولا يوجد سادة في حضارتهم الكاذبة، التي أوهمت العرب بأنهم يريدون نقل الحضارة إلى البلدان المستعمرة لأنّها لا تستطيع تمثيل نفسها وهذا راجع لأسباب عديدة كونها ملونة، وهجينة، وليست نقية لذلك تتسم بالغباء، وعدم القدرة على اتخاذ قراراتها، ومصيرها، وهذا يتنافى مع المنطق.

علاوة على ذلك، تمّ الإشارة إلى النظرة الجزائري لليهودي ودور هذا الأخير في الإخضاع والاستيلاء وتحقيق مصالح و الهيمنة الغربية خاصة السلطة الأمريكية و ابنها المدلل اسرائيل، وبهذا يتم فتح باب الحروب

الوجودية المعقدة، كان سببه "الخطأ المنهجيّ الذي ارتكبه بلفور - ومعه كلّ المستشرقين- هو أنّه يقيم تجربة الشرق من منظور المخيال الغربيّ، وانطلاقاً من معايير التفكير الأوروبي... إنّ النظر إلى الآخر من منظور فيّم الذات وأفق تصورها للعالم"¹⁶. وهذا ما يدل على أنّ الحضارة الغربية الحديثة تعاني من مركب العظمة الذي يحمل في طياته العديد من الانحيازات التأكيدية كالمركزية، والسلطوية والهيمنة والاحتكار والنظرة الذاتية الخالصة وفي المقابل تعاني الحضارات المهمشة مركب النقص والإحساس بالدونية.

دعونا الآن نتحدّث عن تلك الجدلية القائمة بين الذات والآخر ، وهذا الأخير هو ذلك اليهودي الذي يمثّل الغيرية في رواية : **سكرات نجمة** لأمل بوشارب، التي أعطت صورة لليهود في المخيال الرمزي الجزائريّ، وفيه يُعرف اليهوديّ "بنهب المال، والمهارة في جمعه من خلال التجارة والربا، ومن خلال السيطرة على المال، كانوا يستهدفون السيطرة على العالم، إنّهم يفتقرون إلى وطن يجمع شتاتهم، وبفضل المال سيجعلون العالم كلّ في حاجة إليهم"¹⁷، وهذا تمثيل سلبيّ لليهود في المخيال الاجتماعي الجزائريّ، فهو رمز لكلّ أشكال الشرّ والسوء، والمؤسسات الثقافية الرأسمالية تتحفّظ التعامل معهم، والرأي العام هو الآخر يتحفّظ في التعامل معهم، والأطفال في الشارع يتغامزون على كل يهوديّ يتعرّض طريقهم، " إنّ الكاهنة تكون مصدر قلق لأنّ ديانتها كما تعلمين مرتبطة في الوجدان الشعبي بجرائم إسرائيل، هذا الكيان الصّهيوني الغاشم الذي يقتل أطفالنا"¹⁸. فصورة اليهودي غير المرغوب فيها داخل المجتمع الجزائريّ، لأنّه اليوم بعيد كلّ البعد عن تعاليم الديانة اليهودية، فهو يحسّد صورة جديدة مليئة بالكراهية للمسلمين، خاصة للشعب الجزائريّ لأنّه يدعم القضية الفلسطينية، فهي حرب وجودية معقّدة مع الوحش الصهيوني.

وبالنسبة لتجليات مظاهر ما بعد الحداثة في قصة: **في البدء كانت الكلمة**، أدان الاكثير من الباحثين استعمال الألفاظ السوقية والمعاني المخلة للحياء، وتوظيف اللغة الفاحشة في الخطابات "كما أننا سندرس ظاهرة تدنيس اللّغة الروائية، والمرامي الفكرية والإيديولوجية للّغة السوقية المتبدلة .الموضوع الثالث الذي يحضر بقوة في هذه السردية هو ظاهرة اختطاف الأطفال القاصرين في الجزائر، وتعرضهم إلى الخصي أو بتر أعضائهم التناسلية، وأحياناً قطع الخصيتين فقط"¹⁹. هذه الجريمة التي تعرّض لها الأطفال، لا تعالج بالخطابات الهزلية المثيرة للضحك ، الأمر الذي تمّ انتقاده: " نلاحظ تفشي مفردات غريبة على معجم الخطاب الأدبي، والروائي بشكل خاص...، وهي خادشة للحياء، ومسيئة للأدب العام... بينما تتردد في هذا النص بشكل عفوي، تستوي مع مفردات الخطاب اللغوي العادي. بل أكثر من ذلك، فقد ذُكرت هذه المفردة في سياق فكاهي مثير للدعابة"²⁰. تجلّى ذلك عبر حوار دار بين العجوز و الرجل حيث استعمل الأسلوب الساخر باستعمال اللّغة السوقية²¹. وهذا يحيلنا إلى

البارودية التي كانت توظف في الكرنفالات الشعبية لإدانة النمط المؤسساتي للنظام الإقطاعي آنذاك بشكل مؤقت تستعمل فيه الكلمات الفاحشة بهدف السخرية من رجال و نساء الطبقة النبيلة، ورجال الدين و تصوير أعضائهم التناسلية في الرسوم الكاريكاتورية، هذا ما أشار إليه ميخائيل باختين عند دراسته لأعمال فرانسوا رابليه التي تعود إلى فترة ما قبل الحداثة، لتعود السخرية وتتجسد في المادية اللغوية داخل رواية ما بعد الحداثة، غير أن الخصوصية العربية، والثقافة الإسلامية تنفر من استعمال اللغة السوقية في الأعمال الإبداعية، لأن المبدع، والمتكف يمكنه معالجة الحزن، والأزمات بلغة راقية، ومهذبة، لأن اللغة العربية ثرية بالمفردات، والكلمات، ووالعارف باللغة العربية لن يجد صعوبة في معالجة المشاكل الموجودة في الواقع، ويمكنه أن يستجيب لها بلغة فصيحة، وجميلة، ويحقق استجابته الجمالية من دون أن ينقّر القارئ مع احترام خصوصيته كعربيّ ومسلم.

علاوة على ذلك، نجد انتهاكا للطبوهات بإثارة مواضيع لم تعهدها الثقافة العربية، من الموضوعات الأكثر إثارة للجدل في المجتمعات المحافظة هو التصريح بالرغبة الجنسية، وتسمية الأعضاء التناسلية والشذوذ الجنسي. وكل هذه الموضوعات انتهكت حرمتها في رواية ما بعد الحداثة. وفيها تتجسد أفكار منظمات العالمية التي تدافع عن حقوق اللاجنين باسم الإنسانية، وتجمل لهم صورة الشواذ، والمثليين، وترى بأن تصرفاتهم طبيعية ولا علاقة لها بالفاحشة، خاصة بعدما قام الفكر الغربي بعقلنة الرغبة، وبالتالي أصبح الأمر عاديا في العالم الغربي؛ حيث يتم نقشه في أذهان الأطفال المتدربين منذ الصغر، وذلك يكون من خلال الاستغناء عن الضمائر التي تفرق بين الذكر والأنثى، "أنتَ و أنتِ" لأهم أحرار في اختيار هويتهم الجنسية، لذلك تحاول المنظمات الإنسانية العالمية، والجمعيات الأمريكية؛ حيث قامت جمعية الأمريكية لعلم النفس، ومجلس حقوق الإنسان بالترويج للفلسفة الهوية الجندرية المعتمدة لدى منظمة الصحة للبلدان الأمريكية²². American psychological association وهذه الجمعية هي أكبر الجمعيات العلمية ومهنية للنفسانيين في الولايات المتحدة التي تدعم الأفكار التي تعمل على إزاحة الفوارق الجنسية بين الرجل والمرأة، وتدعم المثلية باسم الإنسانية، ولكنها في الحقيقة أرجعت الإنسان إلى وثنية أخطر من التوثين التي كان يعاني منه في فترة العصور الغابرة. وبالتالي قام العلم بتغيير النظرة السلبية عن الشذوذ بنظرة أخرى؛ حيث غيّرت تسميته بالمثلية، والميول الجنسي، وهذا بسبب الهوية الجندرية، التي ترتبط بنظرية إلحادية فلسفية أخذت شكل علم الاجتماع، وتم "عولمتها" كما حصل مع فرويد وداروين، وكارل ماركس²³، تهدف إلى تدمير ثوابت الفطرة والدين باسم العلم، خلط العلم التطبيقي العملي

بالفلسفة الغربية، وتهدف إلى جعل العالم تابعا ومستهلكا لهذا الفكر الملحد، فالملحد لا يؤمن بالقيّم والثواب ويمكنه أن يفعل ما يشاء، وله حرية الاختيار.

4. خاتمة:

- وفي الختام توصلنا إلى النتائج التالية:
- هذه الدراسة كشفت المادية اللّغوية على إيديولوجية المجتمعات الأبوية المتسلطة، وفيها تم استنطاق الأنساق المضمرة في أعمال أمل بوشارب،
- ركزت هذه الدراسة في هذا المنجز على خطاب الرفض في السرديات التي تكتبها المرأة الجزائرية الراضية للهيمنة الذكورية؛ إذ وجدنا بأنّ المرأة التي تحدّث عنها خرقت المسكوت عنه، وكسرت التابوهات. تجلّى ذلك عبر المادية اللّغوية كخطاب الرفض للسلطة الأبوية المناهضة للأسس المركزية، غير أنّ التحرر الذي اختارته بطالات هذه المجموعة هو وقوع في عبودية من نوع آخر.
- الباحث الجزائري لا يجنّد اللّغة العامية والمفردات السوقية المبتذلة الخادشة للحياء، التي تتجلّى فيها مظاهر ما بعد الحداثة كم جاء في قصة: في البدء كانت الكلمة. لذلك يُجنّد تجاوز الألفاظ السوقية والمعاني المخلة للحياء، وتعويضها بلغة مهذبة.
- صعد خطاب الرفض في المجموعة القصصية: عليها ثلاثة عشر لأمل بوشارب، وفيها تحدّثنا عن الكيفية التي تجلّى فيها هذا الخطاب عند المتمرّدة، والسمرء، وغيرهما، فالمرأة العربية التي رفضت ذلك النسق الثقافي المضمر في الثقافات المهمشة، وكلّ كانت لها طريقتها في رفض لتلك التراتبية التي ترسّخت في الفكر العربيّ، الذي ينظر إلى المرأة نظرة دونية، وفي المقابل يعلي من قيمة الرّجل، ويعطي له صفة الفحولة، والقوّة، والهيمنة، والسلطة.

5- الهوامش:

- ¹ - أسماء إبراهيم حسين شنقار، الرواية الديستوبية المصرية، مجلة كلية الدراسات الإسلامية و العربية للبنات بدمهور العدد الخامس الجزء الثالث 2020، ص: 775.
- ² - ميشال فوكو، ارادة المعرفة، ترجمة مطاع صفدي، (مركز الانماء القومي، بيروت 1990م)، ص: 101.
- ³ - أمل بوشارب، عليها ثلاثة عشر، (منشورات الشهاب، الجزائر، طبعة 2014)، ص: 25
- ⁴ - المصدر نفسه، ص: 25 - 26.

- ⁵ - نفسه، ص: 28.
- ⁶ - إبراهيم بوخالفة، التابع يتكلم، (EDITION ITINERAIRES SCIENTIFIQUES إصدار 2021)، ص: 91.
- ⁷ - أمل بوشارب، (المصدر السابق)، ص: 7.
- ⁸ - إبراهيم بوخالفة، التابع يتكلم، (المرجع السابق)، ص: 63-64.
- ⁹ - المرجع نفسه، ص: 25.
- ¹⁰ - أمل بوشارب، عليها ثلاثة عشر، المصدر نفسه، ص: 70.
- ¹¹ - إبراهيم بوخالفة، التابع يتكلم، ص: 58.
- ¹² - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- ¹³ - نفسه، ص: 41.
- ¹⁴ - أمل بوشارب، عليها ثلاثة عشر، ص: 12.
- ¹⁵ - نفسه، ص: 47.
- ¹⁶ - إبراهيم بوخالفة، التابع يتكلم، المرجع السابق، ص: 11.
- ¹⁷ - إبراهيم بوخالفة، التابع يتكلم، ص: 62.
- ¹⁸ - أمل بوشارب، عليها ثلاثة عشر، ص: 55.
- ¹⁹ - ينظر، أمل بوشارب، المصدر نفسه، ص: 12.
- ²⁰ - نفسه، الصفحة نفسها.
- ²¹ - أمل بوشارب، عليها ثلاثة عشر، المصدر نفسه، ص: 12.
- ²² - ويكيبيديا، (2022) جمعية علم النفس الأمريكية.
- ²³ - أحمد طه، المثلية الجنسية بين الإسلام والعلمانية، (مدونة أمّتي، ط 1، 2021)، ص: 51.

<https://ar.m.wikipedia.org> le 28/12/2024 consulté

6. قائمة المراجع:

• المؤلفات:

- أمل بوشارب، عليها ثلاثة عشر، (منشورات الشهاب، الجزائر، طبعة 2014)
- ميشال فوكو، ارادة المعرفة، ترجمة مطاع صفدي، (مركز الانماء القومي، بيروت 1990 م).
- إبراهيم بوخالفة، التابع يتكلم، (EDITION ITINERAIRES SCIENTIFIQUES إصدار 2021).
- أحمد طه، المثلية الجنسية بين الإسلام والعلمانية، (مدونة أمّتي، ط 1، 2021).

• المقالات:

-أسماء إبراهيم حسين شنقار، الرواية الديستويّة المصرية، مجلة كلية الدراسات الإسلاميّة و العربيّة للبنات بدمنهور العدد الخامس الجزء الثالث 2020، ص: 775.

• مواقع الانترنت

ويكيبيديا، (2022) جمعية علم النفس الأمريكيّة.

consulté le 28/12/2024 <https://ar.m.wikipedia.org>